



قراءة في دراسات الدكتور رشيد بورويبة ضمن مجلة الأصالة
**A reading of the studies of Dr. Rachid Bourouiba in Al-Asala
magazine**

د. قرناح زكرياء¹

¹ جامعة الجزائر 02 أبو القاسم سعد الله، guernahzakaria91@gmail.com

تاريخ الاستلام: 2022 / 05 / 31 تاريخ القبول: 2022 / 06 / 10

Abstract:

After independence, Algeria witnessed the emergence of a group of national researchers in the field of history and archeology, who were interested in writing down the history of Algeria and introducing the countries, that followed it and their architectural heritage in various regions of the country, These include Rachid Bourouiba who made significant contribution to academic research, That it was the preserve of foreign researchers.

With his methodological mastery, he was able to combine in his various scientific works between historical research and serious archaeological studies, trying to reveal our history and cultural heritage through these works, and this is what we notice in some of the articles he published in Al-Asala magazine, which we are going to analyze and despite its lack of it is an important knowledge asset for researchers in history and archeology.

Keywords: Rachid Bourouiba; El Assala magazine; Algeria; History.

المؤلف المرسل: زكرياء قرناح.

البريد الالكتروني: guernahzakaria91@gmail.com

الملخص:

شهدت الجزائر بعد الاستقلال بروز نخبة من الباحثين الوطنيين في حقل التاريخ والآثار اهتموا بتدوين تاريخ الجزائر والتعريف بالدول التي تعاقبت عليها وتراثها المعماري بمختلف مناطق الوطن، ومن أبرز هؤلاء رشيد بورويبة الذي ساهم مساهمة بالغة في البحث العلمي الأكاديمي، كما وضع أسس للبحث الأثري بالجزائر بالأخص الفترة الوسيطة بعد أن كان حكرًا على الباحثين الفرنسيين من قبل.

وقد استطاع من خلال تمكنه المنهجي أن يجمع في مختلف أعماله العلمية بين البحث التاريخي والدراسات الأثرية الجادة، محاولا الكشف عن تاريخنا وتراثنا الحضاري من خلال تلك الأعمال، وهذا ما نلاحظه في بعض المقالات التي نشرها في مجلة الأصالة والتي نحن بصدد وضع قراءة لها حيث رغم قلتها تعتبر رصيدا معرفيا هاما للباحثين في التاريخ والآثار.

الكلمات المفتاحية: رشيد بورويبة؛ مجلة الأصالة؛ الجزائر؛ التاريخ؛

1. مقدمة :

عُرف الدكتور رشيد بورويبة بإنتاجه العلمي الغزير في مجال علم الآثار والدراسات التاريخية وكذلك بأبحاثه الميدانية في المواقع الأثرية، التي أثرى بها المكتبة الجزائرية، وحاول من خلالها تغطية النقائص التي كانت تعرفها الكتابة الأثرية والتاريخية في الجزائر، بهدف إمطة اللثام عن تراث الأمة الجزائرية والإشادة بتاريخها والتعريف به للأجيال القادمة.

ومن ضمن أعماله العلمية الدراسات المنشورة في مجلة الأصالة التي كانت تصدرها وزارة التعليم الأصلي والشؤون الدينية بالجزائر، وكان عددها سبعة ورغم قلتها إلا أنه قدم لنا دراسات جادة ورصينة تحتوي على كم مهم من المعلومات عن الاحداث التاريخية



التي عرفتها الجزائر -المغرب الأوسط- في الفترة الوسيطة، إضافة إلى تناوله أهم الاكتشافات الأثرية، كما تتسم بالدقة والمنهجية الواضحة والأسلوب العلمي. ونسعى في هذا البحث لعرض أهم ما تحتويه دراسات الدكتور بورويبة في مجلة الأصالة من رصيد معرفي، وإبراز أهميتها العلمية، ومعرفة كيفية تناوله لمختلف المواضيع المتعلقة بتاريخ وتراث الجزائر؟

وسوف نجيب عن هذه الأسئلة بالخطوة التي تتضمن العناصر التالية:

2. تعريف بمجلة الأصالة:

تعتبر مجلة الأصالة من أهم منابر الابداع العلمي والثقافي بعد الاستقلال في الجزائر، فقد لعبت دورا بارزا في الحراك العلمي الذي عرفته الدولة الجزائرية في فترة السبعينات، ويعود الفضل في تأسيس هذه المجلة إلى الأستاذ مولود قاسم نايت بلقاسم خلال فترة ترأسه لوزارة التعليم الأصلي والشؤون الدينية وكانت المجلة تنشر برئاسة الأستاذ عثمان شبوب¹، وصدر منها 91 عددا كان أول عدد في سنة 1391هـ /مارس 1971م وأخر عدد كان في سنة محرم 1402هـ /نوفمبر 1981م، وكانت تصدر في البداية كل شهرين²، ثم أضحي هناك تذبذب في إصدارها انطلاقا من العدد الرابع.

ويوضح مولود قاسم الهدف من إنشاء هذه المجلة في الكلمات التي دونها في افتتاحية العدد الأول قائلا "سوف تحاول هذه المجلة أن تعبر عن هذا القطاع من النشاط القومي كما ينبغي أن يكون، وإلا فالأحسن ألا يكون"³، كما بين أن وظيفتها الأساسية وهي إحياء أمجاد الأمة الجزائرية والافتخار بماضيها قائلا "...سوف تصدع بما تظن أنها مأمورة به من وحي ضميرها ومنطق كيائها هذا، ولا يمكنها أن تكون إلا كذلك، خاصة والبلاد مقبلة على ثورة ثقافية وروحية تقتلع أوتادا ناشزة من أصولها، وتجثت أوضاع شاذة من الغرائب المستوردة بفروعها وجذورها وحيثما لا تستطيع الاقتلاع ستعتمد إلى الاقتناع"⁴. الملفت في مجلة الأصالة أن الدراسات والأبحاث المنشورة فيها كانت مميزة وجادة، حيث شملت تلك الدراسات التاريخ، الدين، الشعر، الأدب،....، وسيلاحظ المتصفح لها

حضور تاريخ الجزائر عبر العصور بشكل لافت مع تركيز كبير على الفترة الإسلامية من خلال استعراض الإنجازات الحضارية للأمة الجزائرية في هذه الفترة⁵، ونفهم من تعمد القائمون على هذه المجلة التركيز عليه لاستيعابهم أهمية التاريخ ولتذكير الأمة بتاريخها المشرق خلال تلك الفترة ودفعها للنهوض وبعث تراثها من جديد لتجاوز انحطاطها، إضافة للرد على الأطروحات الفرنسية التي حاولت طمس تاريخ الأمة الجزائرية وتقزيم دورها في الحضارة، وردا كذلك على الأقلام الجزائرية التي تدور في فلك الثقافة الفرنسية وتسير في نهجها بتشويه تاريخنا.

وتجدر الإشارة إلى أنه تم إصدار أعداد خاصة من المجلة بمناسبة انعقاد ملتقيات الفكر الإسلامي التي كانت تنظم بصفة دورية، من خلال عرض مداخلات المشاركين وأبحاثهم وآراءهم، والملاحظ أيضا أنها تنشر بالعتين العربية والفرنسية.

ومنذ ظهورها ساهمت العديد من الأقلام في الكتابة فيها سواء الوطنية أو العربية أو الغربية، ونشير هنا إلى إسهامات الأقلام الوطنية من رواد المدرسة التاريخية الجزائرية في إثراء حقل التاريخ الوطني بالعديد من الدراسات، نذكر منهم على سبيل المثال لا الحصر: الدكتور رشيد بورويبة، الشيخ المهدي البوعبدلي، الدكتور مولاي بلحميسي، الدكتور يحي بوعزيز، الدكتور عبد الحميد زوزو، الدكتور موسى لقبال، الدكتور عبد القادر زبادية، الدكتور أبو القاسم سعد الله....

3. نبذة عن الدكتور رشيد بورويبة:

هو رشيد بورويبة من مواليد 29 جويلية 1917م بالجزائر العاصمة، تلقى تعليمه الابتدائي في البداية بمدينة سطيف⁶، ثم أكمله بمدينة الثنية وفيها تحصل على شهادة التعليم الابتدائي والمتوسطي⁷ ويعود سبب تنقلاته بين المدن الجزائرية هو طبيعة عمل والده الذي كان يشتغل في السكك الحديدية⁸، وبفضل حصوله على شهادة المتوسطة استطاع أن يلتحق بمدرسة المعلمين ببوزريعة سنة 1936⁹ (المدرسة العليا للأستاذة حاليا).

بعد تخرجه اضطر للسفر إلى فرنسا من أجل أداء الخدمة العسكرية وعند إكماله للخدمة عاد للجزائر ليشغل بمجال التعليم فكان أستاذ بولاية بجاية ولم يستمر في عمله كثيرا، فقد اندلعت الحرب العالمية الثانية وجند في جيش الاحتلال الفرنسي سنة 1939م



ومع نهاية الحرب تم تسريحه من الجيش ليعود إلى الجزائر ويتفرغ لمهنة التعليم¹⁰، حيث مارس التعليم في العديد من مدن الوطن مثل شلف وخميس مليانة وبوفاريك¹¹.

وخلال فترة مكوثه في مدينة خميس مليانة عمل على مواصلة تكوينه العلمي حيث بدأ بالتحضير لشهادة الليسانس في العلوم الاجتماعية والإنسانية والتي نالها سنة 1956م، ثم نال بعد ذلك شهادة الدراسات العليا وكان موضوع الدراسة شخصية المهدي بن تومرت¹²، وقد دفعت هذه الدراسة الأستاذ لتعمق أكثر في الحضارة الإسلامية وبشكل أدق مجال الفن والعمارة الإسلامي حيث تمكن من الحصول على شهادة الدكتوراه الحلقة الثالثة تحت إشراف الأستاذ الفرنسي لوسيان قولفين (Lucien Golvin) من جامعة إيكس-بروفانس بفرنسا وكان عنوان الأطروحة النقوش التذكارية في مساجد الجزائر¹³.

ونشير إلى أن مسيرته المهنية في الجامعة بدأت مع الاستقلال حيث درس الأستاذ بورويبة عدة مقاييس في جامعة الجزائر، أهمها تاريخ العصور الوسطى وتاريخ الفن الإسلامي والتاريخ الإسلامي وأثاره، وأشرف على تأطير عدد مهم من رسائل الماجستير والدكتوراه إلى أن أحيل على التقاعد سنة 1981م¹⁴.

كما تقلد عدة وظائف أخرى إلى جانب التدريس منها: عميدا لكلية الادب والعلوم الاجتماعية بجامعة الجزائر سنة 1969م لمدة ثلاث سنوات، ورئيس المجلس العلمي وبالإضافة إلى بعض الاعمال الإدارية في معهد الاثار¹⁵، والاشراف على بعض المجالات. شارك الدكتور في العديد من الملتقيات والمحاضرات داخل وخارج الوطن مثل ملتقيات الفكر الإسلامي، وملتقى ابن خلدون، المؤتمر الدولي لدراسات غربي البحر الأبيض المتوسط الأول والثاني.

2.3 إنتاجه العلمي:

كُتِبَ الدكتور رشيد بورويبة العديد من المؤلفات القيمة التي ساهم من خلالها بالتعريف بتاريخ الجزائر لاسيما في فترة الوسيطة حيث جمع فيها بين التاريخ والاثار، وحاول من خلال هذه الدراسات أولا إبراز دور الجزائر-المغرب الأوسط- في الفترة المذكورة وإظهار

مقوماتها الشخصية وعناصر هويتها، إلى جانب وعيه التام بضرورة التخلص من هيمنة المدرسة التاريخية الفرنسية في تدوين التاريخ الوطني وتكوين جيل جديد من الباحثين تكون مرجعيتهم المؤلفات الوطنية. نذكر من أهم هذه الكتب:

- Abd Al-Mu'min flambeau des Almohades.
- Les Mosquées en Algérie.
- L'art Religieux Musulman en Alger.
- Ibn Tumart.
- Apports de L'Algérie a L'architecture Religieuse Arabo-Islamique.
- L'architecture militaire de L'Algérie Médiévale.

- الدولة الحمادية تاريخها وحضارتها.

- الجزائر في التاريخ 3 العهد الإسلامي - من الفتح إلى بداية العهد العثماني - (مؤلف جماعي).

- وهران.

- قسنطينة.

- مدن مندثرة: تاهرت، سدراتة، أشير، قلعة بني حماد.

كما نشر الدكتور دراسات وأبحاث كثيرة في مختلف المجالات حول مواضيع متنوعة تاريخية وأثرية وقد أحصيت بعضها:

- Sur six dinars almohades trouvés à la Qal'a des Bani Hammad, bulltein d'Archéologie Algérienne, t. II, 1966.

- Note Sur un petit oratoire mis au jour à la Qal'a des Bani Hammad, bulltein d'Archéologie Algérienne, t. IVI, 1970.

- Sur six chapiteaux trouvés à la Qal'a des Bani Hammad, bulltein d'Archéologie Algérienne, t, IV, 1970.

- Mihrabs hammadides, Revue des Etudes Islamiques, XL/2.

- أثر الفن المعماري الصنهاجي في فن النورماندين بصقلية، مجلة الثقافة، السنة 4، العدد 19، وزارة الثقافة، 1974م.

- محاريب الجزائر (مقال بالغة الفرنسية)، مجلة التاريخ، المركز الوطني للدراسات التاريخية، 1981.



- القلاع والحصون والمؤسسات العسكرية التي أنشأها الأمير عبد القادر، مجلة الثقافة، السنة 13، العدد 57، وزارة الثقافة، 1983م.

- تأقدمت عاصمة الأمير عبد القادر، ترجمة حسين بن مهدي، مجلة الثقافة، السنة 14، العدد 82، وزارة الثقافة، 1984.

بالإضافة إلى الأبحاث المنشورة في مجلة الأصالة والتي نحن بصدد دراستها.

4. محاور دراسات وأبحاث الدكتور بورويبة بمجلة الأصالة:

لقد كان الدكتور رشيد بورويبة من الباحثين الذين ساهموا في الكتابة بمجلة الأصالة عن طريق مجموعة من الدراسات في حقل التاريخ والأثار، وقد تركزت تلك الدراسات وانحصرت معظمها في الفترة الوسيطة حيث تطرق فيها للعديد من القضايا المهمة التي لها علاقة بتاريخ وحضارة الجزائر خلال تلك الفترة بالشرح والتحليل، ورغم أن أبحاثه بالمجلة قليلة مقارنة بباحثين آخرين إلا أنه حاول عن طريقها نفوذ الغبار عن بعض الأمور الدقيقة المتعلقة بتاريخنا.

الملاحظ أن أبحاث الأستاذ ميزها شيئين اثنين: أولهما اهتمامه بالجانب العلمي الأكاديمي من أجل تلبية حاجيات النخبة الجديدة وتقريب المعلومة إليها بما يساعدها في إثراء التاريخ الوطني مستقبلا، وثانيهما تركيزه على الجانب الحضاري والعمراني للجزائر والسعي إلى إبرازه وهذا راجع لتخصصه في الآثار.

إن المتصفح لأبحاث للدكتور رشيد بورويبة بمجلة الأصالة يجد حضور ثلاثة محاور في تلك الأبحاث ونسجلها على نحو التالي:

1.4 التعريف بالحواضر الجزائرية:

لقد كتب في هذا الموضوع الدكتور رشيد بورويبة دراستين تطرق فيهما إلى تاريخ مدينتين جزائريتين، الدراسة الأولى كانت حول حاضرة أشير التاريخية¹⁶ عاصمة الدولة الحمادية التي تحدث فيها عن نشأة المدينة عن طريق عرض الروايات التاريخية من مختلف النصوص المصدريّة وهذا، حيث إننا نجده ينتقد بعضها علميا ويعطي رأيه بقوله

مثلا" وقع الغلط في تاريخ تأسيس أشير للسببين الآتين...."17، وهذا دليل على امتلاكه المملكة النقدية التي يتصف بها الباحثين المتمرسين والجادين.

وقد تناول المؤلف مراحل تشييد المدينة وتوسعها من طرف الأمراء الحماديين، من خلال وصفها من الداخل بالإشارة لحصانها ومناعتها بسبب موقعها الاستراتيجي وأيضا كثرة عيون المياه بها، وتقديمه لمحة عن أهميتها الاقتصادية والاجتماعية في المغرب الأوسط، كما أمدنا أيضا بأهم المنشآت العمرانية الموجودة داخل المدينة.

ثم انتقل بعد ذلك للحديث عن تاريخ مدينة أشير منذ تأسيسها مروراً بتعين بلقين بن زيري كخليفة للفاطميين على إفريقية وتوالي الأمراء الحماديين على حكم الدولة الحمادية والاحداث التي مرت بها إلى أن تراجع دورها بعد تأسيس مدينة قلعة بني حماد إلى غاية اندثارها.

وفي ختام المقال قام المؤلف بعملية جرد لأهم الأبحاث والأعمال التنقيبية حول مدينة أشير والنتائج التي توصلوا إليها هؤلاء الباحثين ذكر منها:

- أبحاث بربروغر Berberuguer سنة 1850 و1852م.

- أبحاث شاباسيار Chabassiere سنة 1869م.

- أبحاث رودي Rodet سنة 1908م.

- أبحاث جورج مارسي Georges marçais سنة 1922م.

- أبحاث تابوتو سنة 1954م.

- أبحاث لوسيان قولفين Lucien Golvin بين سنة 1954 و1956م.

أما الدراسة الثانية فلا تقل أهمية عن الدراسة سابقة، كانت متعلقة بحاضرة عنابة -بونة- منذ الفتح الإسلامي إلى أواخر العهد الموحيدي 18 فقد أورد الدكتور رشيد بورويبة الاختلافات الحاصل في وصف المدينة، من خلال عرض مختلف الروايات عند الرحالة والجغرافيين المسلمين خلال الفترة الوسيطة، بالإضافة إلى آراء الباحثين الفرنسيين حول حاضرة عنابة أمثال ستيفان كسال وكريستيان كورتوا وجورج مارسي.

وعرج المؤلف على العمارة لاسيما الدينية وهذا بحكم تخصصه، حيث تحدث مطولا عن جامع سيدي أبي مروان وتاريخ تأسيسه ومكوناته من داخل بشكل دقيق كبيت الصلاة والمئذنة.



كما تطرق إلى الوضع السياسي لمدينة بونة في العهد الدولة الزيرية ثم الحمادية والموحدية والصراع الذي كان يدور من أجل السيطرة عليها، ونجده يشير لبعض الاحداث التي مرت بها المدينة مثل سيطرة الاسطول الصقلي عليها ونهبها سنة 548هـ/1153م، إلى جانب هذا أشار لثراء بونة الاقتصادي وأهميتها في المغرب الأوسط.

2.4 التراث المعماري الإسلامي في الجزائر:

يعتبر من المواضيع التي يحب البحث والكتابة فيها الدكتور رشيد بورويبة، إذ نجد جل أبحاثه ومؤلفاته تنصب في هذا المجال وهذا راجع لتخصصه في الفن المعماري الاسلامي وقد كتب ثلاث دراسات في مجلة الاصاله عن التراث المعماري، الأولى كانت في وصف الجامع الكبير بقسنطينة¹⁹ ترجمه حنفي بن عيسى.

أورد المؤلف في بداية الدراسة كلام بعض المؤرخين الفرنسيين حول تاريخ بناء الجامع، ثم يشير إلى عملية البحث التي قام بها سنة 1960-1961م فترة إنجازه الدكتوراه الدور الثالث واطلاعه على ثلاث كتابات تذكارية داخل الجامع وبعد تفحصها ودراستها، استطاع من خلالها الوصول لنتيجة أن جزء من الجامع يعود للفترة الحمادية.

بعد ذلك انتقل إلى الحديث عن الجامع من الداخل أين ركز على خمسة أقسام: كانت البداية مع مخطط المصلى من حيث الشكل وأهم البلاطات الموجودة فيه، ثم رصد الداعمات التي يرتكز عليها كالسواري والتيجان والاقواس وتعرض لشكلها وقارنها مع جوامع أخرى.

بعدها تطرق إلى المحراب فأشار في القسم الاول إلى إطاره الخارجي ومميزاته الفنية كالأقواس والحنية والركنيات والحافة المستطيلة، أما القسم الثاني إلى جزءه الداخلي حيث تناول شكله وقارنه مع غيره من المحاريب، ثم شرع في وصف المئذنة كاشفا لنا ما يميزها من داخل مثل شكلها والسلم.

واستعرض في القسم الاخير التنميق الموجود في الجامع حيث عن طريقه أكد مرة أخرى أن الجامع من الفترة الحمادية، كما ذكر اللوازم المستعملة في التنميق وتناول أيضا أهم

الاشكال المنمقة مثل الاقواس والمشاي، ثم عدد المكتآت داخل الجامع مع إبراز الكتابات والزخرفة التي عليها، وواصل مع التنميق حيث رصد التنميق النباتي والتنميق الهندسي على الزجاج والمحراب والتنميق في الكتابة من خلال تحدث عن فحوى الكتابات التي يحوها الجامع والخطوط المستعملة وأشار كذلك إلى الزخرفة الموجودة على الأبواب. خلس الدكتور رشيد بورويبة في نهاية الدراسة إلى القول على أن الجامع الكبير بقسنطينة من بقايا الفن المعماري الحمادي.

ركز في دراسة الثانية على المساجد التاريخية المنتشرة في مدينة تلمسان 20 والتي بنيت في الفترة الوسيطة وقسمها على فترات، فترة الأدارسة، فترة المرابطين، فترة الزيانيين، فترة المرينيين، وأشار في الأول لأقدم مسجد في تلمسان هو مسجد أقادير الذي بُني في عهد الادارسة وأهم الحفريات التي شملته.

ثم تطرق لمسجد الكبير الذي شيده المرابطون واعتبره من روائع الفن الإسلامي حيث حدد فترة بنائه، ووصف أهم ما يتميز به كالدعائم وسواري والاقواس والمحراب والقبتين ومثذنة وتحدث عنهم بالتفصيل.

واتجه بعد ذلك صوب جامع سيدي أبي الحسن وبين أنه شيد في عهد الدولة الزيانية سنة 696هـ/1296م استنادا للكتابات الموجودة داخله ولاحظ أنه صغير مقارنة بالمسجد الكبير، ووصف أيضا مميزاته مثل سواري والتيجان والمحراب والسقف والمثذنة، وكشف أن محراب جامع سيدي أبي الحسن أجمل محراب في العالم الإسلامي كله، ثم أشار إلى مسجدين آخرين تم بناءهما في نفس العهد هما مسجد أولاد الامام ومسجد سيدي إبراهيم وشرح محتويات كل واحد منهما.

وفي الأخير عرج على المساجد التي بنيت في الفترة المرينية وهم جامع المنصورة، وجامع سيدي أبي مدين، وجامع سيدي الحلوى حيث ذكر كل المعلومات والمواصفات التي تخص تلك المساجد وأهم محتوياتها.

جاءت الدراسة الثالثة عن الفن الرستمي بكل من مدينتي تاهرت وسدراته 21، فقد أفرد لكل منهما دراسة مستقلة.



والبداية كانت مع مدينة تاهرت حيث اعتمد الدكتور بورويبة على الأبحاث التي قام بها جورج مارسي (Georges marçais) ودوسوس لامار (Dessus-Lamare) سنة 1941م، ونشرت في المجلة الافريقية سنة 1946، لتقديم لنا وصف للمنشآت الموزعة داخل المدينة. شرع الدكتور أولا في وصف سور المدينة من حيث التصميم والبناء، ثم عرج على القصبة وركز على مقاساتها وأكمل وصفه لمخطط القصبة بالإشارة إلى جدران والقاعات والسقيفة، انتقل بعد ذلك إلى المنشآت المهمة ألا وهي مخازن الماء فقد لاحظ أن الرستميون أولوا أهمية لمسألة الماء ودليل على ذلك كثرة المرافق المائية كالعيون ومخازن الماء التي ضمنت تدفق المياه لسكان ولزراعة، ومن أبرز هذه المنشآت ثلاثة أحواض رئيسية مستطيلة الشكل.

وأشار إلى وجود مباني أخرى مثل المسجد والبيان الأربعة وقد قام بوصفها بالاعتماد على ما ذكره الجغرافي البكري نظرا لغياب أثار لها، وأتم الدكتور كلامه بذكر البقايا من المطامير والفخار التي عثر عليها جورج مارسي، كما كشف عن عدم عثور الباحثين على أي قطعة زخرفية وهذا ما دفعه للاعتقاد أن الرستميين وأنتمهم كانوا يعيشون حياة بسيطة، وأكد ذلك باستعانة بنص من كتاب ذكر بعض أخبار في الأئمة الرستميين لابن الصغير.

أما الجزء الثاني من البحث فخصصه للفن الرستمي بسدراته نواحي ورقلة، التي أسسها الامام الرستمي يعقوب بن أفلاح الذي هرب من تاهرت سنة 547هـ/908م بعد معرفته بوصول الجيش الفاطمي، وهذه المدينة التي عرف ازدهار كبيرا في القرن الرابع والخامس الهجريين والعاشر والحادي عشر الميلاديين إلى غاية اندثارها بعد هجرة السكان منها.

وانطلق المؤلف في رصد معالم المدينة في العهد الرستمي من الحفريات التي قام بها الأثريون لارجو (Lergeaud) وطاري (Tarry) وبلانشي (Blanchet) وفوشي (Faucher) ومارقريت فان برشم (Marguerite Van Berchem) حيث بينت أجزاء من معالمها، فقد

أشار إلى أن سدراته تتخذ شكلا مستطيلا وكانت تضم العديد من القرى مبنية على تلال تتوفر على الكثير من العيون وتربطها عدة طرق.

ومن بين المنشآت التي اكتشفت المسجد وقصر أطلق عليه الأثريون اسم قصر ذو أربع وثلاثين حجرة، ودار مطامير، وكان المسجد عبارة عن بيت يرتكز على اثنتا عشرة دعامة أسطوانية الشكل بالإضافة إلى عشرون قبة مربعة القاعدة تعلو بيت الصلاة، ثم وصف مخطط القصر من حيث شكل معماره وأقسامه كالحجرات، وواصل مع دار مطامير التي تقع قرب السور الغربي للمدينة وتتألف من فناء واسع على اليمين واليسار وحجر عديدة. ونشير إلى أنه لاحظ احتواء المعمار في سدراته على زخرفة تزيينية مثل عناصر نباتية من غصون ملتوية وأوراق الكرم، وعناقيد العنب وعناصر هندسية من مربعات ودوائر، وغياها في معمار تاهرت.

وفي ختام المقال بين الدكتور بعد مقارنته بين الفن الرستمي بتاهرت وبسدراته أن هناك اختلاف بينهما وأن الفن الرستمي في سدراته أضحى أكثر تطورا. وقد دعم هذه المعلومات بمخططات ورسوم توضيحية.

3.4 الشخصيات التاريخية:

من المواضيع التي اهتم بها الدكتور رشيد بورويبة وخصص لها حيزا في أعماله البحثية، حيث اجتهد في التعريف بالشخصيات التاريخية وإمالة اللثام عنها مع إبراز دورها خاصة التي كانت لها علاقة بتاريخ الجزائر، ونشير هنا إلى نشره دراستين في المجلة تطرق في الأولى لشخصية بلقين بن زيري الصنهاجي²².

افتتح المؤلف الدراسة بالإشارة إلى رواية ابن خلدون عن دور بلقين في تأسيس مدينة الجزائر، وعرج بعد ذلك إلى تعريف بقبيلة صنهاجة التي ينتهي إليها بلقين وتوضيح الدور الذي لعبته عائلته وبعض أفرادها في تاريخ المغرب الإسلامي أمثال المثنى بن منصور ومناد بن منقوش.

وبدا بالحديث عن شخصية زيري بن مناد بالإشارة إلى طفولته ثم نضجه وتكوينه لجيش بسط من خلاله سيطرته على بعض قبائل صنهاجة وزناته وتحالفه مع الدولة الفاطمية، وقد دفعه هذا الوضع الجديد إلى تفكير في بناء مدينة تكون مقرا له ولأتباعه ووقع الاختيار على أشير.



كما تطرق إلى دوره في دعم ومساندة خلفاء الدولة الفاطمية ضد الثائر أبي يزيد مخلد بن كيداد والقضاء عليه سنة 336هـ/946م وكذلك خلال تمرد مدينة فاس وبسبب هذه الخدمات الجليلة منح الخليفة الفاطمي المعز لدين الله تاهرت لزيري بن مناد الذي بدوره سمح لابنه بلقين بتأسيس مدن الجزائر ومليانة والمدية.

كان بداية بزوغ نجم بلقين على الساحة السياسية بالمغرب كقائد قوي ومحرك بعد أن استطاع هزيمة قبيلة مغراوة التي تسيطر على المغرب الأوسط، ولم يطول الأمر حتى استلم رئاسة قبيلة صنهاجة خلفا لوالده الذي توفي في حرب كان يخوضها ضد جعفر بن علي بن حمدون صاحب المسيلة حيث تعتبر مرحلة جديدة في حياة بلقين تختلف عن المرحلة السابقة.

واعتبر المؤلف أن هذه المرحلة الثانية في حياة بلقين كانت انطلاقتها مع إعلانه الحرب على قبيلة زناتة وطردهم من المغرب الأوسط إلى الأقصى وتحقيق العديد من المكاسب، دفعت الخليفة الفاطمي المعز لدين الله سنة 361هـ/971م إلى دعوته للمنصورة لتوطيد العلاقة معه حيث قدم له الكثير من الهدايا اعترافا بقوته.

وتتضمن هذه المرحلة أيضا وقوع اختيار الفاطميين على بلقين لتوليته حكم المغرب قبل توجههم لمصر وقد أورد المؤلف عدة روايات في هذه الحادثة، وكانت توليته سنة 361هـ/972م بسردانية وهي قرية قرب القيروان.

أما المرحلة الثالثة فتحدث المؤلف عن إدارة بلقين بن زيري لبلاد المغرب باسم الدولة الفاطمية والتي شهدت الكثير من الأحداث الهامة تمثلت في ثورة أهل قابس وتمكنه من هزيمتهم وضبط الأوضاع، ثم الزحف بجيش عظيم نحو المغرب الأوسط سنة 362هـ/973م من أجل إخضاعه، إضافة إلى وفاة عامل القيروان وتعيين بلقين عبد الله كاتب التميمي خلفا له لمساعدته في تسيير الأمور، وقمع التمرد الذي قاده خلف بن خير وتدمير مدينة باغاية، وفي خضم هذه الأحداث توفي المعز لدين الله الفاطمي بمصر سنة 365هـ/974م وخلفه ابنه العزيز بالله وأقر هذا الأخير بلقين على ولاية إفريقية ومدن

طرابلس، وقد أدى هذا إلى تعاظم نشاطه حيث مد نفوذه إلى المغرب الأقصى وسيطر على عدة مدن سنة 368هـ/979م، لكن لم يكمل تحركات بسبب إصابته بمرض في الطريق وتوفي.

بعد استعراض سيرته ختم رشيد بورويبة الدراسة بإعتبار بلقين بن زيري من الشخصيات التاريخية التي كان لها شأن عظيم في تاريخ المغرب عامة والجزائر خاصة، بفضل ذكائه وحنكته السياسية وحسن إدارته قام ببناء مدن الجزائر ومليانة والمدية في مواقع استراتيجية، واستطاع إخضاع جزء كبير من بلاد المغرب لحكمه.

تعلقت الدراسة الثانية بالمهدي بن تومرت²³، ركز فيها على جزئية من حياته فترة إقامته بالمغرب الأوسط وبضبط في بجاية وملالة وما تخللته من أحداث.

وقد أشار الدكتور في البداية إلى الاختلاف الحاصل بين المؤرخين في تاريخ إقامة ابن تومرت في عاصمة الحماديين، وأورد بعض الروايات التاريخية بخصوص ذلك.

ثم تطرق إلى امتحان ابن تومرت تدريس الامر بالمعروف والنهي عن المنكر في المسجد وحضور دروسه الكثير الناس والعلماء، وعبر عن امتعاضه من المنكرات التي رآها في بجاية وحاول تغييرها لكنه اصطدم ببعض المشاكل وخوفا منه أمره الأمير الحمادي بمغادرة بجاية.

فخرج ابن تومرت واتجه نحو قرية ملالة التي تبعد عن بجاية ب 7 كلم واستقر هناك وبدأ بإلقاء الدروس، وفسر المؤلف سبب اختياره ملالة لتوفر الحماية له من قبيلة صنهاجة القاطنة في المنطقة وأيضا دعم أبناء الأمير الحمادي، اما السبب الثاني تنبأ ابن تومرت بحدوث أمر جلل له بهذه القرية سوف يغير حياته.

وتحقت توقعات ابن تومرت وجرى اللقاء التاريخي مع عبد المؤمن بن علي بملالة حيث يعتبر هذا أهم الاحداث وأبرزها في تاريخه، ويشير المؤلف أن كل النصوص المصدرة اتفقت على حدوث القاء بملالة ما عدا ابن أبي زرع الفاسي والمراكشي صاحب المعجب، ووجود كذلك خلاف عن السبب الذي دفع عبد المؤمن السير إلى ملالة، وأيضا هناك خلاف آخر حول مضمون الكلام الذي دار بين المهدي وعبد المؤمن أثناء اللقاء حيث قدم لنا الروايات التاريخية المختلفة التي تكلمت عن هذين الموضوعين.



كما تحدث المؤلف عن وقائع أخرى شهدها ابن تومرت خلال إقامته ببجاية وملالة لا تقل أهمية عن التي ذكرها تمثلت في زيارة والده، واستقبال شيخين من المغرب الأقصى ومصاحبته لشخص يدعى يزرجن بن عمر.

وفي الختام خلص رشيد بورويبة إلى أن إقامة المهدي ابن تومرت ببجاية وملالة كانت ممتعة وعرفت الكثير من الاحداث الهامة لكن أبرزها كان لقائه بعبد المؤمن بن علي هذا لقاء الذي مهد لظهور الدولة الموحدية والتي تعتبر واحدة من أقوى الدول في المغرب الإسلامي.

5. القيمة العلمية لهذه الدراسات:

تعتبر هذه الدراسات رغم قلتها إضافة قيمة لحقل البحث التاريخي والاثري في الجزائر، نظرا لما تكتسي من أهمية بالغة بسبب تطرق الدكتور رشيد بورويبة لمواضيع دقيقة ومهمة في تاريخ وتراث الجزائر الهدف منها تغطية النقائص التي يعرفها البحث التاريخي والاثري وفتح آفاق جديدة للباحثين الجدد، وكذلك التعريف بتاريخنا وتراثنا المعماري والحفاظ عليه وحمايته.

وتكمن أهمية الدراسات أيضا في طريقة تناول المؤلف لتلك المواضيع من خلال التدرج السلس في طرح القضايا المختلفة، وامتلاكه لأدوات الملاحظة والتحليل والمقارنة والنقد وأخذ الراي الراجح ثم الاستنتاج وهو ما لمسناه خلال عرض الروايات من النصوص المصدرة والاعتماد على المراجع لتوضيح، كل هذه الأمور جعلتها ذات قيمة معرفية ومنهجية.

ومما زاد في قيمتها وجودتها ثرائها بالمصادر وهذا دليل على إلمامه التام بالمصادر التاريخية التي أشارت للأحداث التي عرفها المغرب الاوسط -الجزائر-، حيث ساهمت قدرته على استقراء الروايات المصدرة في تقديم معلومات نوعية من مصادر مختلفة، وتوظيفه كذلك الاعمال العلمية للباحثين الفرنسيين وهذا بحكم تكوينه في الجامعة الفرنسية واحتكاكه بها.

كما استغل المؤلف بعض هذه الدراسات لعرض وتقديم ما كتبه المؤرخون والاثريون الفرنسيون عن الجزائر في الفترة الوسيطة وعرض أهم الحفريات الميدانية والاكتشافات التي توصلوا إليها، إضافة إلى الأبحاث التي أنجزها هو والنتائج التي خرج بها.

6. الخاتمة:

يعد الدكتور رشيد بورويبة أحد أبرز الباحثين الذين تركوا بصمتهم في ميدان البحث التاريخي والاثري في الجزائر، فقد فرض وجوده بما كتبه من إنتاج علمي إضافة إلى أبحاثه الميدانية في المواقع الأثرية، كما بذل مجهودات جبارة في سبيل تطوير البحث العلمي في تخصص الآثار بالجامعة الجزائرية وإعطائها أهمية كبيرة بهدف التخلص من هيمنة المدرسة الاثرية الفرنسية وتكوين جيل جديد من الاثريين الجزائريين المتشبعين بالقيم الوطنية.

كانت دراساته المنشورة في مجلة الأصالة إضافة نوعية وذات قيمة علمية وتمتاز بالمنهجية الدقيقة، فقد تضمنت رصد معرفي هام عن تاريخ وتراث الجزائر -المغرب الأوسط- حيث كشف من خلالها عن العديد من القضايا والحقائق لاسيما في ميدان الفن المعماري الاسلامي في الفترة الوسيطة، أضف إلى ذلك حرصه على فتح المجال للبحث في مواضيع مماثلة وتغطية النقائص في الكتابة التاريخية والاثرية.

7. قائمة المراجع:

- 1- محمد الأمين بلغيث، الصراع الفكري في الجزائر المستقلة من خلال مجلة الأصالة 1971-1981، مجلة كلية أصول الدين، العدد 1، 1999.
- 2- بورويبة رشيد، أشير عاصمة بني زيري، مجلة الأصالة، العدد 12، 1973.
- 3- بورويبة رشيد، عنابة من الفتح الإسلامي إلى أواخر العهد الموحد، مجلة الأصالة، العدد 34-35، 1976م.
- 4 - بورويبة رشيد، وصف الجامع الكبير بقسنطينة، ترجمة حنفي عيسى، مجلة الأصالة، العدد 5، 1971م.
- 5- بورويبة رشيد، جولة في مساجد تلمسان، مجلة الأصالة، العدد 26، 1975م.
- 6 - بورويبة رشيد، الفن الرستمي بتاهرت وسدراتة، مجلة الأصالة، العدد 41، 1977م.
- 7- بورويبة رشيد، بلقين بن زيري، مجلة الأصالة، العدد 8، 1972م.



- 8- بورويبة رشيد، إقامة ابن تومرت ببجاية وملالة، مجلة الأصاله، العدد 19، 1974.
- 3- تاجي إسماعيل، (2007). مولود قاسم نايت بلقاسم نضاله السياسي ونظرته للهوية الجزائرية، رسالة ماجستير غير منشورة، في تخصص الحركة الوطنية، جامعة منتوري قسنطينة، الجزائر.
- 4- عقاب محمد الطيب، أستاذ الجيل رشيد بورويبة رائد علم الآثار في الجزائر، مجلة الدراسات الأثرية، المجلد 2، العدد 3، 1995.
- 5- kamel nasser, (2022), Rachid bourouiba un maitre de l'histoire de l'architecture et de l'art arabo-islamique, <http://algeriearabite.canalblog.com> (18/05/2022).

8. الهوامش: (*)²⁴

- 1- محمد الأمين بلغيث، الصراع الفكري في الجزائر المستقلة من خلال مجلة الأصاله 1971-1981، مجلة كلية أصول الدين، العدد 1، 1999، ص 111.
- 2- مولود قاسم نايت بلقاسم، هذه المجلة، العدد 1، 1971، ص 2
- 3- نفسه.
- 4- نفسه.
- إسماعيل تاجي، (2007). مولود قاسم نايت بلقاسم نضاله السياسي ونظرته للهوية الجزائرية،⁵ رسالة ماجستير غير منشورة، في تخصص الحركة الوطنية، جامعة منتوري قسنطينة، الجزائر، ص 110.

⁶ - kamel nasser, (2022), Rachid bourouiba un maitre de l'histoire de l'architecture et de l'art arabo-islamique, <http://algeriearabite.canalblog.com> (18/05/2022).

⁷ -Ibid.

⁸- محمد الطيب عقاب، أستاذ الجيل رشيد بورويبة رائد علم الآثار في الجزائر، مجلة الدراسات الأثرية، المجلد2، العدد3، 1995، ص5.

⁹ - kamel nasser , op.cit.

¹⁰ - Ibid.

¹¹. محمد الطيب عقاب، المرجع السابق، ص6

- نفسه.¹²

¹³- kamel nasser, op.cit.

¹⁴- محمد الطيب عقاب، المرجع السابق، ص8.

¹⁵- المرجع نفسه، ص ص7-8.

¹⁶- رشيد بورويبة، أشير عاصمة بني زيري، مجلة الأصالة، العدد12، 1973م، ص ص 113-119.

¹⁷- المرجع نفسه، ص114.

¹⁸ - رشيد بورويبة، عنابة من الفتح الإسلامي إلى أواخر العهد الموحد، مجلة الأصالة، العدد 34-35، 1976م، ص ص 66-73.

¹⁹- رشيد بورويبة، وصف الجامع الكبير بقسنطينة، ترجمة حنفي عيسى، مجلة الأصالة، العدد 5، 1971م، ص ص88-99.

²⁰- رشيد بورويبة، جولة في مساجد تلمسان، مجلة الأصالة، العدد26، 1975م، ص ص171-182.

²¹- رشيد بورويبة، الفن الرستمي بتاهرت وسدراتة، مجلة الأصالة، العدد41، 1977م، ص ص180-192.

²²- رشيد بورويبة، بلقين بن زيري، مجلة الأصالة، العدد8، 1972م، ص ص19-28.

²³- رشيد بورويبة، إقامة ابن تومرت ببجاية وملالة، مجلة الأصالة، العدد19، 1974، ص ص233-240.